وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مَنَاهِجُ المُفَسِّرِين

تأليف

الدكتور مساعد مسلم آل جعفر
استاذ مساعد
محي هلال السرحان
مدرس

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى
١٩٨٠

ملتزم الطباعة : دار المعرفة

تصميم الغلاف : مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تزخر مكتبتنا العربية باعداد كبيرة من التفاسير التي اتخذت نص القران موضوعاً لدراستها .

ولفهم هذه التفاسير ونهج اصحابها بها رأى مسؤولو المناهج في وزارة التعليم العالي وضع كتاب ضمن مناهج الدراسات الجامعية ، فوضعت مفردات لكتاب - مناهج المفسرين - وكلفتنا بتأليفه .

فقمنا متوكلين على الله بتأليف هذا الكتاب راجين من الله ان يجعله نافعاً لابنائنا الطلبة ولاخواننا الباحثين في هذا الموضوع .

وقد قام الدكتور مساعد مسلم آل جعفر
بتأليف الباب الاول والباب الثاني بكل ما فيهما وجميع الدراسات في الباب الثالث .

قام السيد محي هلال السرحان
بتأليف ما يتعلق بتراجم المفسرين المذكورين في الباب الثالث ومناهجهم في تفاسيرهم .

نرجو ان يكون عملنا خالصاً لوجه الله .

المؤلفان

بسم الله الرحمن الرحيم
عليه توكلت وبه ثقتي

المقدمة

تبارك الذي انزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا ويكون القرآن منهجا قويما ليس فيه عوجا ولا امتاً ، سالما من اللبس والغموض والحمد لله الذي جعلنا من الامة الوسط التي انزل فيها القرآن الكريم فجعلنا من متبعي سيد المرسلين .

انزل الله القرآن الكريم ـ بعد ان تحرفت النصوص التي جاء بها الرسل عليهم السلام الى الامم السابقة ـ على خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم بالقول الفصل والشريعة الباقية الى يوم الدين .

وهذا القرآن هو السراط المستقيم الذي اراد الله من الانسانية ان تسير عليه وتهتدي بهديه وتنضبط بضوابطه وتقيم عند حدوده حتى تلتقي به سبحانه يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات .

وكتاب هذا شأنه لا بد من ان يكون مفهوما بكل مفرداته وتراكيبه وهكذا كان فعلا .

فقد فهمه الذين آمنوا بالحق وانصتوا لنداء الله لهم فساروا وراء من قادهم نحو الفلاح ، كما فهمه الذين علموا ان في اتباعه مشقة وخطورة ليسوا بمستوى جنودها المخلصين المضحين بكل اعراض الدنيا لنصرة الحق حتى قالوا عنادا (الغوا فيه لعلكم تغلبون) .

فكان جهاد المؤمنين به يساوي في القوة عناد الجاحدين ، لان المؤمنين فهموا ان فيه سعادتهم في الدنيا والاخرة وسعادة الاجيال التي تأتي بعدهم ، كما فهم الجاحدون ان فيه نهاية عظمتهم وطغيانهم وفيه القضاء على مصالحهم ومكانتهم الاجتماعية القائمة على الباطل والظلم .

انزل الله القرآن الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وامره بتبليغه الى الناس كافة ، واستغرق نزوله ثلاثاً وعشرين سنة وفي هذه المدة تغير المجتمع تغيرا جوهريا .

فقد كان المجتمع العربي قائما على قيم ومبادىء اصبحت من العار على الانسان التمسك بها او ادعائها بعد نزول القرآن واستقرار الشريعة وقيام دولة الحق .

كان القرآن الكريم ينزل بمناسبات تساعد على فهم مقصوده او تطبيق حكمه ، ولكن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه على ترتيبه على غير الصورة التاريخية التي نزل بها وانما بموجب ما كان عليه اصلا عند الله .

ولترتيبه التاريخي المعجز معنى تفسره المناسبات وتعطي ضوءاً عليه والاحكام المرادة منه عند نزوله ، كما ان للصورة التي هو عليها اصلا (النسق التعبدي المعجز ايضا) معنى اضافيا تستفاد منه الصورة الحقة للمجتمع الانساني الفاضل الى قيام الساعة .

ومعرفة المناسبات والنصوص حسب الترتيب التاريخي والصورة التامة التي هو عليها في الترتيب التعبدي الخالد ضرورية جدا لا يقوم الدين بدونها وتحتاج الى النقل ممن انزل عليه القرآن بواسطة الامناء الذين حضروا وقت النزول واعدهم الله لذلك .

واستفادة المعنى الاضافي من الترتيب التعبدي ضرورية ايضا لاستقيم عبادة الناس بدونها وتحتاج بالاضافة الى النقل من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العقل والاستنتاج ، فتراكيبه ومفرداته لم تكن مفهومة للناس بعد الجيل الاول والثاني بنفس الوضوح واليسر والسهولة .

وعلى هذا وذاك احتاج الناس الى التفسير .

ما هو التفسير :

التفسير ، مأخوذ من (الفسر والفسر هو البيان . فسر الشيء يفسره ويفسره وفسره ابانه والتفسير مثله ـ وقيل التفسير والتأويل والمعنى واحد ـ وقوله عز وجل : واحسن تفسيرا الفسر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل)[1] .

---

(١) لسان العرب ـ لجمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) طبعة بولاق سنة ٧١١ هـ جـ ٦ ص ٣٦١ .

وقال الراغب : (الفسر : اظهار المعنى المعقول ، ومنه قيل لما ينبىء عنه البول : تفسره وسمي بها قارورة الماء والتفسير في المبالغة كالفسر ، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها قال تعالى : واحسن تفسيرا)[1] .

ولم ترد اللفظة في القرآن الكريم الا مرة واحدة في سورة الفرقان في قوله تعالى : (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا)[2] ومعناها (وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم)[3] .

ولم تخرج معاجم اللغة عن هذا الايضاح وانما تكلمت ضمن هذا المعنى . وكذلك كان شأن كتب غريب القرآن والمعاجم المتأخرة المختصة بتوضيح معاني القرآن الكريم .

فقد جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم في معنى التفسير : (من المادي كشف المغطى ومنه المعنوي ، التفسير كشف المراد وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو تفسرته ، وهي اسم كالشهية ، فسر الامر كضرب ونصر فسرا ، وفسره بينه على المبالغة ـ ويقال في بيان الالفاظ وغيرها)[4] .

وجاء في معجم الالفاظ والاعلام القرآنية قوله : (فسر الشيء وضحه ، وفسر ايات القرآن الكريم شرحها ووضح ما تنطوي عليه من معان واسرار واحكام ، والتفسير : الشرح والبيان)[5] .

هذا هو معنى التفسير في اللغة فكلمة تفسير كما مر بنا هي التوضيح والبيان وهذا يقتضي اعمال العقل والتفكير ، فهي عملية عقلية بلا ريب لانها كشف ما ابهم

---

(١) المفردات في غريب القرآن ـ الحسين بن محمد (الراغب الاصفهاني) مكتبة الانجلو المصرية طبع سنة ١٩٧٠ ، ص ٥٧٢ .

(٢) سورة الفرقان آية ٣٦ .

(٣) تفسير ـ ناصر الدين البيضاوي ، طبع صبيح سنة ١٩٤٧ ص ٤٨٥ .

(٤) معجم الفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ ، جـ ٢ ص ٨٥٠ .

(٥) معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ـ محمد اسماعيل ابراهيم ـ دار الفكر العربي ـ طبع سنة ١٩٦٩ جـ ٢ ص ١١٣ .

في نص من النصوص وارشاد القارىء او السامع الى ما عناه صاحب النص من نصه .

وقبل الخوض في معنى التفسير او علم اللتفسير في اصطلاح اهل الفن يجدر التعرض لمعنى النص ومعنى التفسير بصورة عامة . فالنص : هو (جملة من المعاني المرتبطة بالكلمات الدالة عليها كما كتبت اولا ، وهي بذلك تدل على العمل العقلي او الادبي المعبر عنه بالفاظ لم ينلها شيء من التغيير او التبديل في مادتها او صورتها)[1]

هذا بصفة عامة وهو عند اهل كل علم ما يعتبرونه اصلا لعلمهم ، فعند الاصوليين يعني النص مالا يتطرق اليه احتمال اصلا وهو قابل للتأويل ، وعند غيرهم غير ذلك .

فالتفسير بناء على ذلك : (عملية القصد منها الاضافة الى نص الاول من جهة ثم اعطاء هذا النص معنى جديدا من جهة اخرى)[2] .

هذا هو التفسير من الناحية اللغوية ومعناه بصورة عامة ، يشمل جميع النصوص التي تحتاج الى توضيح .

اما باضافته الى القرآن الكريم فقد اصطلح له علماء التفسير اصطلاحات كثيرة وعرفوه بتعاريف شتى منها ما عرفه ابو طالب التغلبي بقوله : (بيان وضع اللفظ القرآني اما حقيقة او مجازا)[3] .

وعرفه ابو حيان في البحر المحيط (التفسير : هو علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك)[4] .

وعرفه العلامة الفناري بقوله : (هو معرفة احوال كلام الله تعالى من حيث

---

(١) نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ـ د . احمد السيد خليل ـ الوكالة الشرقية للثقافة في الاسكندرية ، الطبعة الاولى ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م ص ٧ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٧

(٣) الاتقان في علوم القرآن ـ السيوطي جـ ٢ ص ١٧٣ .

(٤) البحر المحيط ـ ابو حيان جـ ١ ص ١٠

القرانية ومن حيث دلالته على ما يعلم او يظن انه مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية) [1] .

وعرفه غيرهم من العلماء غير ذلك ، ونحن نرى التعاريف جميعا تتفق على ان التفسير هو العلم فيه معنى كلام الله تعالى .

ومن العلماء من جعل بعض القضايا اللازمة لتوضيح المعنى من تمام الحد كالقراءات واسباب النزول وغيرها ، وقد تركت كثيرا من التعاريف لانها لم تخرج عما ذكرت .

واهم ما له علاقة بالتفسير من الناحية العلمية هو التأويل .

فالتأويل : في اللغة من (الاول ، والاول الرجوع ، آل الشيء يؤول اولا ومآلا ، رجع ، واول اليه الشيء رجعه وألت عن الشيء ارتدت ، والاول الرجوع واول الكلام وتأوله دبره وقدره وتأوله فسره ، وسئل ابو العباس احمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل والمعنى والتفسير واحد ، التأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح الا ببيان غير لفظه . والايالة السياسة ، فلان حسن الايالة وسيء الايالة) [2] ، و(التأويل من ال يأول اذا رجع) [3] .

والتأويل في الاصطلاح : (هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان نميل ذلك بعبارة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه او لاحقه او مقارنه) [4] او (هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى ان يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره) [5] .

وعرفه بعضهم انه : (صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة) [6] .

---

(١) تاريخ التفسير ـ الشيخ قاسم القيسي . ص ١٨

(٢) لسان العرب جـ ١٣ ص ٣٣ .

(٣) مقدمة التفسير ـ الراغب الاصفهاني ـ مطبعة الجمالية ـ بمصر (مع تنزيه القرآن عن المطاعن) سنة ١٣٢٩ هـ طبعة اولى ، ص ٤٠٢ .

(٤) فصل المقال فيما بين الشرقية والحكمة من الاتصال ـ ابن رشد ـ طبع دار المعارف سنة ١٩٧٢ م ، ص ٣١ .

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ـ ابن جزى الكلبي ـ دار الكتب الحديثة ـ جـ ١ ص ١١ .

(٦) التعريفات ـ ابو الحسن الجرجاني ـ الدار التونسية ـ ص ٢٨ .

وقد اختلف مدلول التأويل عند السلف عن مدلوله عند المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة فيقسم بناء على ذلك الى قسمين : [1]

١ ـ تفسير الكلام وبيان معناه سواء اوافق ظاهره ام خالف فيكون التفسير والتأويل على هذا مترادفين وهذا هو ما عناه مجاهد [2] من قوله (ان العلماء يعلمون تأويله ـ يعني القرآن ـ وما يعنيه ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره ، القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا ، وبقوله اختلف اهل التأويل في هذه الاية ونحو ذلك فان مراده التفسير .

٢ ـ هو نفس المراد بالكلام فان كان المراد طلبا كان تأويله نفس الشيء المخبر به .

والفرق بين المعنيين ظاهر وهو ان الاول يكون التأويل فيه من باب العلم . والكلام كالتفسير والشرح والايضاح ويكون وجود التأويل في القلب واللسان وله الوجود الذهني واللفظي والرسمي واما الثاني فالتأويل فيه نفس الموجود في الخارج سواء كان ماضيا ام مستقبلا .

وهذا هو معنى التأويل عند السلف اما معناه عند المتأخرين من المتفقهه والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة : فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به . . . فالمتأول عندهم مطالب بامرين :

الاول : ان يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى انه المراد .

الثاني : ان يبين الدليل الذي اوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح الى معناه المرجوح والا كان تأويلاً فاسدا او تلاعبا بالنصوص .

الفرق بين التفسير والتأويل : ومما تقدم رأينا العلماء منهم من يعتبرهما مترادفين

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور ـ مطبعة الحلبي سنة ١٩٦٤ جـ ١ ص ١٢ . التفسير والمفسرون ـ الذهبي ـ محمد حسين ـ دار الكتب الحديثة جـ ١ ص ١٧ .

(٢) مجاهد : مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي مولى السائب بن ابي السائب تابعي ، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة قال مجاهد : قال لي ابن عمر : وددت لو ان نافعا يحفظ كحفظك مات سنة مائة او احدى ومائة وهو ساجد ومولده سنة احدى وعشرين ـ طبقات الحفاظ ـ جلال الدين السيوطي ـ نشر مكتبة وهبة سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م ،ص ٣٥ .

وفريق يرى انهما متباينان ، والذين يعتبرونهما متباينين يذهبون مذاهب شتى في الفرق بينهما .

ففيهم الذي يرى ان التفسير للكتب السماوية وغيرها فيما يقتصر التأويل على الكتب السماوية .

ويرى آخرون ان التفسير اعم من التأويل .

وذهب جماعة الى ان التفسير للمعنى الظاهر والتأويل للمعنى الباطن وقال فريق ان التفسير يؤخذ من وضع العبارة والتأويل يستفاد من طريق الاشارة .

والواقع ان العرف السائد بين العلماء هو ان التفسير والتأويل بمعنى واحد ، لانهم يسمون التفاسير جميع الكتب التي تتعرض للقرآن الكريم بتوضيح لفظ او اظهار معنى لنص قرآني والعمل الذي يقوم به الشخص يطلقون عليه تفسيرا .

كما ان مؤلفي التفاسير سموها باسماء لا تنبىء بالتفرقة بينهما فتفسير الزمخشري اسمه (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل) والبيضاوي سمي تفسيره (انوار التنزيل واسرار التأويل) وهذان العنوانان لا يدلان على ان صاحبيهما اقتصرا على معنى من المعاني الذي يتميز فيه كتاب اي منهما ، باعتباره تأويلا دون التفسير او العكس .

وهذا يدل بدون شك على ان الاصطلاح العلمي الذي سار عليه العلماء والذي لا يزال ساريا الى اليوم ان التأويل والتفسير واحد فقولنا تفسير الاية او تأويل الاية نعني شيئا واحدا او انهما متكاملان لا يستغني احدهما عن الاخر وخاصة بالنسبة للقرآن الكريم .

الباب الاول

نشأة علم التفسير وتطوره

الفصل الاول : فهم الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن وتبليغه
الفصل الثاني : فهم الصحابة رضي الله عنهم للقرآن حين تبليغه
الفصل الثالث : تحرج قسم من الصحابة في تفسير القرآن وجرأة القسم الاخر .

الباب الاول

نشأة التفسير وتطوره

الفصل الاول :

فهم الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم وتبليغه

يصطفي الله سبحانه وتعالى اشخاصا من عباده يعدهم اعدادا خاصا ليكونوا رسله الى بقية الناس فيبلغونهم اوامره ويعلمونهم السبيل الحق التي اختارها لهم ليصلوا بها الى سعادتهم في الدنيا ونجاتهم في الاخرة : (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس)[1] .

وهؤلاء الرسل يرعاهم الله ويؤدبهم بما يناسب مقامهم الذي يعدهم له ، واهم ما يهيئهم له هو تلقي نداء السماء وفهمه واستيعابه وتبليغه للناس .

فيكون ذكاؤهم فوق الاعتيادي ويسوي سلوكهم ليكون محط انظار الناس وموطن احترامهم فلا يؤخذ عليهم شيء في حياتهم العامة قبل بعثتهم فيكون مأخذاً عليهم وهم رسل الله وكان محمد صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وقد وصفه الله بقوله (وانك لعلى خلق عظيم)[2] .

وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للانبياء والمرسلين في جزيرة العرب للناس كافة ، وكان العرب اهل فصاحة وبلاغة فانزل الله القرآن الكريم في الذروة منهما وتبوأ المكان الاسمى فكان مثلهما الأعلى .

وآتى الله جل وعلا محمدا صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فكان افصح

---

(١) الاية ١٧٥ الحج .

(٢) الاية ٥ القلم .

العرب ففهم القرآن الكريم جملة وتفصيلا بما كان عليه من الفصاحة والبلاغة والذكاء اولا وبما علمه الله سبحانه وتعالى ثانيا .

ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يشعر بثقل القول الذي القاه الله عليه وجسامة المهمة واهمية التكليف ولم يعلم ان الله جلت قدرته سيعينه عليه ويبينه له ويحفظه اياه فكان يردد مع الوحي ما ينزله الله به اليه (اخرج الامام احمد والبخاري وسلم وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة ان يتفلت منه يريد ان يحفظه فانزل الله تعالى : (لا تحرك به لسانك)[1] فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه جبريل عليه السلام اطرق وفي لفظ استمع فاذا ذهب قرأه كما وعد الله عز وجل فالخطاب في قوله تعالى (لا تحرك به لسانك) للنبي صلى الله عليه وسلم والضمير للقرآن لدلالة سياق الاية نحو انا انزلناه في ليلة القدر اي لا تحرك بالقرآن لسانك عند القاء الوحي من قبل ان يقضي اليك وحيه (لنعجل به) اي لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك على ما يقتضيه كلام الحبر وقيل لمزيد حبك له وحرصك على اداء الرسالة وروي عن الشعبي (ان علينا جمعه) في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه (وقرآنه) اي اثبات قراءته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت . . . . (فاذا قرأناه) ان اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام المبلغ عنا . . . . (فاتبع قرآنه) فكن مقضيا له لا مباريا وقيل اي فاذا قرأناه فاتبع بذهنك وفكرك قرآنه اي فاستمع وانصت وصح هذا من رواية الشينمين وغيرهما عن ابن عباس وعنه ايضا وعن قتادة والضحاك اي فاتبع في الاوامر والنواهي قرآنه . . . (ثم ان علينا بيانه) اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه)[2] .

كما ان الله سبحانه وتعالى تعهد للرسول صلى الله عليه وسلم بان يحفظه اياه فلا ينساه ابدا بقوله (سنقرئك فلا تنسى)[3] .

فكان القرآن الكريم بفضل الله ونعمته محفوظاً في صدر الرسول صلى الله عليه وسلم نصا ومعنى وقد علم الله رسوله صلى الله عليه وسلم كل اسراره ومعانيه وكل

---

(١) القيامة اية ١٧ .

(٢) تفسير الالوسي (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني) للشهاب جـ ٢٩ ص ١٤١ .

(٣) الاعلى آية (٧) .

علومه ما كان منها معلوما لدى العرب وما لم يكن كذلك وحال القرآن بنفسه وماله مع من انزل اليه ينبىء انه من الله سبحانه العليم الحكيم .

فلم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم عالما ولا متعلما ولم يكن يعلم حتى القراءة والكتابة التي هي اوليات العلم ومبتدأه . ولم يكن العرب قبل بعثه صلى الله عليه وسلم امة متعلمة ولا يدور في مجتمعهم اي نوع من العلوم ولا يزاولون اي فن من الفنون .

فجاء القرآن الكريم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الدرجة من الكمال العلمي والصورة المعجزة في شكلها ومضمونها . ولم يخف على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما جاء به القرآن الكريم .

كل هذا ينطق ان القرآن من عليم حكيم من الله تبارك وتعالى علمه للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وامره بتبليغه للناس كافة ليخرجهم من الظلمات الى النور .

الفصل الثاني :

فهم الصحابة رضوان الله عليهم للقرآن الكريم

اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم اصحابا يحملون دعوته بامانة واخلاص وصدق ، لانه سبحانه وتعالى اراد لهذه الدعوة ان تبلغ اخر يوم لهذه الدنيا وان تصل بالناس منذ ان بلغها نبيه صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة .

فكان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله في كتابه الكريم بقوله : (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا)[1] هذه النخبة وهذه الصفوة من البشر علم فيهم الله كل الخير وعلم فيهم استعدادا لحمل راية الحق وادراك الافاق بها فمن عليهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ليكونوا امناء دعوته حفاظ سره حاملي راياته (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[2] .

كان الصحابة اهلا لهذا المقام السامي الذي وضعهم الله به فقاموا بعبء التكليف خير قيام وعدّلهم الله بعد ان نهضوا بمهمتهم فقال تعالى : (لقد رضي الله

---

(١) آية (٢٩) الفتح

(٢) آية (١٦٤) آل عمران

عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما)[1] .

فبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم وبلغهم به فتلقوه منه بكل شغف وحب وحرص وكان بلسانهم وبالفاظهم فادوه للذين يلونهم بكل امانة وهم الواسطة بين المسلمين ورسولهم ولذا فلا يتطرق الشك الى عدالتهم لان الشك يؤدي الى عدم الثقة فيما وصلنا من التشريع وقد قال الخطيب البغدادي (اخبرنا ابو منصور محمد بن عيسى الهمداني تنا صالح بن احمد الحافظ قال سمعت ابا جعفر احمد

بن عبدل يقول سمعت احمد بن محمد بن سليمان التستري يقول سمعت ابا زرعة يقول : اذا رأيت الرجل ينتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق وذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق والقرآن حق وانما ادى الينا هذا القرآن والسنن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة)[2] .

ولا يحتاج الانسان الى البرهان على عدالة الصحابة لان القرآن الكريم اخبر بذلك في ايات كثيرة غير قابلة للتأويل . والقرآن اصدق القائلين لا يخالفه الا منافق او زنديق ولم يجرح احدا منهم الا من لا يعتد بقوله من الذين انتسبوا للاسلام زورا لان الطعن من هؤلاء يجري فيمن رضي الله عنهم في القرآن الكريم . فلا خلاف بين المؤرخين والمحدثين ان من الذين بايعوا تحت الشجرة ابا بكر وعمر وعثمان (بايع نيابة عنه الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه) وعلي وطلحة والزبير . والطعن يجري في احد المذكورين او جملة منهم وهل تحتاج الى مخالفة الطاعنين للقرآن الكريم .

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وتلقاه الصحابة لانه بلسان عربي مبين (فدل على انه عندهم (عند العلماء) عربي واذا ثبت هذا فقد كانوا فهموا معنى الفاظه من حيث هو عربي فقط وان لم يتفقوا على فهم المراد منه فلا يشترط في ظاهره زيادة على

---

(١) الفتح ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) الكفاية في علم الرواية ـ الخطيب البغدادي ـ مطبعة الجمعية العثمانية ١٣٥٧ هـ ، ص ٤٩ .